المحاضرة الرابعة:

مدرسة براغ1 (Le cercle de Prague)

1- تأسست حلقة براغ عام 1926م من طرف اللسانيين الروس: رومان جاكوبسون(**Roman Jakobson**)، س.كارسفيسكي (S.Karcevski) ونيكولاي تروبتسكوي(N.Troubestkoy). واللسانيين التشيك: ف.ماثيسيوس (V.Mathesius)، ب.ترنكا (B.Trnka)، ب.هافرانيك وي.موكاروفسكي.

2- قامت حلقة براغ على أفكار **دي سوسير** وبودوان **دي كورتيناي**، و**مدرسة فورتوناتوف** السلافية.

3- غلب على هذه المدرسة الاهتمام بأمرين: **الصوتيات والوظائف اللغوية** أو المهام التي تؤديها اللغة.

4- تميّزت حلقة براغ بنظرتها إلى اللغة من خلال **الوظيفية**، وليس المقصود أنها كانت ترى أن اللغة ككل تؤدي وظيفة ما فحسب، فهذه بديهية لم تكن تميّز هذه الحلقة عن اللسانيين الآخرين، وإنما انصبَّ اهتمام الباحثين في حلقة براغ على إبراز الوظائف التي كانت مكوناتها البنيوية المختلفة تؤديها في استعمال اللغة بأجمعها. فكانوا ينظرون إلى اللغة كما ينظر المرء إلى محرك محاولا أن يفهم الوظائف التي تؤديها أجزاؤه المختلفة وكيف تحدد طبيعة جزء معين طبيعة الأجزاء الأخرى. وقد تجاوز لسانيو حلقة براغ **الوصف إلى التفسير**؛ أي لم يكتفوا بالحديث عن ماهية اللغة بل تحدثوا عن السبب وراء اتخاذ اللغات أشكالها التي نجدها عليها.

5- توصلت البحوث الفونولوجية التي قامت بها **حلقة براغ** إلى نتائج معتبرة تُوِّجتْ بنشر أعمال الحلقة (8 أجزاء من 1929 إلى 1939 م) وخاصة **مبادئ الفونولوجيا (Principe de phonologie)** لـ نيكولاي تروبتسكوي. وفي المقابل لم تعرف الدراسات في المجال الصرفي والمعجمي نفس العمق.

6- لم يستغرق النشاط الخصب **لحلقة براغ** إلا قرابة عشر سنوات (بسبب احتلال ألمانيا النازية لتشيكوسلوفاكيا)، ثم وفاة كل من تروبتسكوي وماثيسيوس، ورحيل جاكوبسون عن تشيكوسلوفاكيا (سابقا) فقدت الحلقة روادها. إلا أن أفكارها واصلت انتشارها في بيئات مختلفة.

7- ميَّز الباحثون (في حلقة براغ) تمييزا شديدا بين ثلاث زوايا في النظر إلى الصوت اللغوي فنتج عن هذا ثلاثة تخصصات في الدراسات الصوتية: **علم الأصوات النطقي** (بالنظر إلى المتكلم)، **علم الأصوات السمعي** (بالنظر إلى السامع)، و**علم الأصوات الوظيفي** (بالنظر إلى وظيفة الصوت اللغوي).

8- **<u>أعلامها:</u>**

أ- **نيكولاي تروبتسكوي**(N.Troubestkoy)(1890-1938م)

1. يعـــدُّ **ن. تروبتـــــسكوي** المؤســـــس الأول **لعلم الأصوات الوظيفي** (أو الفونولوجيا La Phonologie) بالاشتراك مع **جاكوبسون وكارسفسكي**. وقـــــــد تأثَّر بأفكار **دي سوسير** فكـــــــــوَّن منها " **أفكاره الفونولوجية: فاللغة ذات وظيفة اجتماعية، وهي نظام والوحدات الصوتية تقوم بدور الوحدات اللغوية التي يتم من خلالها إنجاز التواصل** ". صدر له كتاب ســنة 1939 بعنوان: **مبادئ الفونولوجيا**. و" **تندرج أفكار الكتاب في إطار المفهوم الوظيفي الذي نادت به حلقة براغ والذي ينظر إلى اللغة على أنها تنظيم وظيفي قائم على وســـائط تعبيرية مســتعملة بغرض إقرار غاية معينة لذا شــملت دراســته كل المســتويات اللســانية (الفونولوجية، الصرفية والمعجمية)** ".
2. قاده إلمامه الواسع بلغات متنوعة إلى استنباط ملاحظاته الأولى عن **النظم الصوتية**، فرأى أن ارتباط الأصـوات في جميع اللغات بعضـها ببعض في صـورة أعضـاء تنتمي إلى كل منظَّم، أي تنتمي إلى نظام أو **تشكِّل نظاما منسجما**. وهكذا اكتسبت الفكرة النظرية القائلة بأن اللغة ينبغي تصورها على أنها نظام (كما طرحها سوسير) أوّل تدقيق منهجي لها.
3. توصَّل ن.تروبتسكوي، في دراسته الفونولوجية إلى مفـــهوم الفـونيم؛ حيث يعدّ الفونيم " **علامة لغوية مهمتها حمل معنى الكلمة** ". ويقوم النظام الصوتي وفق وجهة النظر الفونولوجية على **فكرة التقابل والاختلاف** بين عناصـــره (فونيماته)، فالفونيم لا يتحدَّد بما هو **مادة فيزيائية**، بل بما هو **سلسلة من الملامح المميزة**.
4. وضـع تروبتسكوي عـــــددا من القواعد المتعلقة بمـــــفهوم الفونيم، حيث يعد أصـغر وحدة فونولوجية في اللسان (اللغة La langue) المدروس:
   - إذا كان هناك صـوتان من اللســان نفســه والإطار نفســه، ويمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما **صوتان اختياريان لفونيم واحـــــد**، مثل: فونيم **القاف** الذي له **صور نطقية مختلفة** في العربية الفصـــيحة واللهجات العامية في **قال** و**قال** فاختلاف القاف والقاف لا يؤدي إلى تغير المعنى. وكذلك الشأن بالنسبة لفونيم الجيم.
   - إذا كان الصـــوتان من اللســـان نفســـه والإطار نفســـه، ولا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما **صـــــورتان واقعتان لفونيمين مختلفين**، مثل: حال وجال، فالحاء والجيم فونيمان مستقلان ليس لهما معنى في ذاتهما وهما قادران على تغيير الدلالة.
   - إذا كان الصوتان من اللسان نفسه **متقاربين من الناحية السمعية أو النطقية**، ولا يظهران في الإطار الصوتي نفسه، فهما **تركيبان لفونيم واحد**، مثل صوت النون في العربية التي **تتعدد صـورها بتعدد الأصـوات الموالية لها**؛ فالنون السـاكنة مثلا قبل صـوت أسـناني (كالثاء) تنطق أسنانية، وتنطق قبل صوت لهوي (كالقاف) لهوية.

- ✓ يرى **تروبتســـكوي** أن الفونيم عبارة عن **النماذج الصـــوتية التي لها القدرة على تمييز الكلمات وأشكالها** و**الأنماط الصوتية المستقلة التي تميز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات.**
- ✓ كل فونيم يؤدي وظيفتين: **وظيفة إيجابية ووظيفة سلبية، فالوظيفة الإيجابية** تساعد على **تحديد معنى الكلمة** التي تحتوي عليه. **والوظيفة السـلبية تحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخرى.** مثل: فونيم **النون** (ن) يشـــترك مع غيره من الفونيمات في كلمة نام لتحديد معناها ومدلولها وهي الوظيفة الإيجابية، أما الســلبية تتمثل في حفظ كلمة نام مختلفة عن كلمات مثل قام، صـــام، حام. وتظهر الوظيفة الإيجابية (الأســـاســـية) أثناء حذف الفونيم من الكلمة واستبداله بآخر في تغير المعنى. فالفونيمات أصوات لها سمات خاصة، قادرة على التمييز بين الكلمات في كل اللغات بإبدالها بفونيمات أخرى وبترتيبها وموقعها في بنية الكلمة.
- ✓ **الوظيفة التمييزية للفونيم (القيمة الخلافية):** الوظيفة التمييزية هي أســـاس التحليل الفونولوجي عند تروبتسكوي؛ إذ يقوم مفهوم الفونيم على **فكرة التغاير والتضاد** في المجال الصوتي، فلا يمكن له أن يؤدي وظيفته التمييزية إلا إذا كان مضـــادا لفونيم آخر أو فونيمات أخرى داخل الكلمة، مثال: تاب وخاب، ففونيم التاء في كلمة تاب يختلف عن فونيم الخاء في كلمة خاب، وإن كان الفونيمان الآخران (الألف والباء) لا يختلفان. وهذا ما أكســـب هذه الفونيمات المختلفة (التاء، والخاء) وظيفة تمييزية في كل كلمة تظهر من خلال تغير المعنى في كلمة من هذه الكلمات (تاب، وخاب).
- ✓ عندما درس **تروبتسكوي** التقابلات الثنائية البسيطة لاحظ أن " **أحد عضوي التقابل يؤدي وظيفة العضو الموسوم، ويدخل في تمييز مع عضو غير موسوم** "، ومثال ذلك تقابل **صوت مجهور** مع **صوت مهموس** نجد أن طرفي التقابل كليهما ذو خصائص صوتية إلا أن الصوت الموسوم يتميز بخاصية (كونه مجهورا) وهي الخاصية التي يفتقدها الصوت غير الموسوم.

5. الفرق بين الفونيم (Le Phonème) والألوفون (Allophone):

- **أصوات عامة تجريدية يراد بها النوع،** مثل: النون، الراء والحاء. وهذا النوع قادر على تغيير معاني الكلمات، فنام تختلف عن رام وحام. وهذه الأصـــوات هي التي يراد بها الفونيمات.
- **أصوات جزئية خاصة:** وتطلق على الأصوات التي لا تؤدي إلى تغيير المعنى؛ فالنون في نهر أو نصـــر تختلف عن منك وعنك من الناحية النطقية والســـمعية، فالنون فونيم واحد بصـــور نطقية مختلفة لا تحمل في ذاتها دلالة وظيفية. وهذه الأصـــوات هي التي أطلق عليها العلماء الألوفونات (Allophones).

ب-رومان جاكوبسون (Roman Jakobson):

- ✓ يعـــــدُّ رومان جاكوبسـون من مؤسـسـي **علم الأصـوات الوظيفي** أو **الفونولوجيا** (La phonologie) في حلقة براغ. امتاز بديناميكية كبيرة ســـاهمت في النجاح الكبير الذي حققته هذه المدرسة. ألَّـــف كتابا بعنوان: **مبادئ اللسانيات العامة**. أعطى فيه " **أهمية كبيرة لدراسـة الخصـائص المشـتركة بين الأنظمة اللسـانية في المجال الفونولوجي بعد ملاحظة الاختلافات الممكنة والقيام بحصـرها، ثم ضـبطها وفق التضـاد القائم بينهما على المستويين السمعي والنطقي** ".
- ✓ انطلق جاكوبسـون في تعريفه للفونيم من فكرة **الملامح المميزة** التي يقصـد بها مجموعة الخصائص الصوتية التي تميز فونيما عن آخر، وعليه فمفهوم الفونيم عنده هو **مجموعة من الملامح المميزة التي تتَّبع من الخصائص النطقية والسمعية وتحدد كل صوت من أصوات اللغة**، مثل موضع النطق وصفته.
- ✓ تابع رومان جاكوبسـون معيار التقابل بين **الموسـوم/ غير الموسـوم** بمزيد من التدقيق وبرهن على إمكان تطبيقه على مســتويات لســانيات أخرى أعلى رتبة من المســتوى الفونولوجي.
- ✓ حاول جاكوبســون تطبيق **فكرة الملامح المميزة في التحليل المورفولوجي**، فقد وضـــع نظاما مورفولوجيا من خلال دراســته لنظام الفعل في اللغة الروســية، ولكن جهوده في المورفولوجيا لا تقارن بجهوده في ميدان الفونولوجيا.
- ✓ أعطى جاكوبســون الأولوية للدراســات التاريخية، وحاول أن يدرس **التغير الطارئ على الفونيمات** عبر المسار التاريخي للغة، فتوصَّل إلى وضـع تنظيم فونولوجي كلي يحتوي على اثنتي عشــرة ســمة ســمعية صــالحة لوصــف النظام الفونولوجي في كل اللغات الإنسانية.
- ✓ يرى جاكوبسون أن اللـــــــــغة وسيلة للتواصل الإنساني، ويتحقق هذا التواصل بتوفر العناصـر التالية: **المرسـل، المرسـل إليه، قناة الاتصـال، اللغة المشـتركة، الرسـالة، المضمون.**
- ✓ نتج عن عناصر عملية التواصل عند جاكوبسون وظائف ست للغة تتمثل فيما يلي:

- **الوظيفة التعبيرية (La fonction expressive)**: وهي التي تحدد العلاقة بين المرسـل والرسالة، وموقفه منها؛ لأن الرسالة تعبِّر عن مرسلها وتعكس حالتها، إضافة إلى ما تحمله من أفكار تتعلق بشيء ما (المرجع)، الذي يعبِّر المرسل عن مشاعره تجاهه.
- **الوظيفة المعرفية (La fonction cognitive)**: الوضـــعية أو المرجعية: هي أكثر الوظائف أهمية في عملية التواصـل ذاتها، وتسـمى أيضـا (تعيينية) أو (تعريفية)، وتعتبر العمل الرئيسي للعديد من الرسائل، تتجه في العملية للمرجع أو الموضوع.

- **الوظيفة الإفهامية (La fonction conative)**:توجد في الجمل التي ينادي بها المرسل المتلقي، لإثارة انتباهه، أو لطلب القيام بعمل ما، وتدخل الجمل الأمرية ضمن هذه الوظيفة.
- **الوظيفة الانتباهية (La fonction Phatique)**: وذلك حين يحاول المرســـل إبقاء الاتصـــال مع المتلقي، عن طريق ألفاظ بســـيطة لا تحمل أفكارا مثل: ألو، هاه، والعبارة الشكسبيرية أعرني أذنك.
- **الوظيفة الميتا لسانية (La fonction métalinguistique)**: تظهر هذه الوظيفة في الرســـائل التي تكون فيها اللغة مادة للدراســـة فتعمل على وصـــف اللغة، وذكر عناصـــرها وتعريف مفرداتها على أنها وظيفة كلام اللغة عن اللغة نفسها.
- **الوظيفة الشعرية (La fonction poétique)**: وهي إحدى الوظائف الأساسية للغة، لما تدخله من ديناميكية في حياتها، وبدونها تصـبح اللغة ميتة وسـكونية، وهي موجودة في كل أنواع الكلام، وتتحقق حينما تكون الرسالة معدَّة لذاتها، كما في النصوص الفنية اللغوية، مثلا لقصائد الشعرية، وهي ليست الوظيفة في الشعر، بل هي المهيمنة فيه.